العرب
الجمعة 2021/04/16
السنة 43 العدد 12032

الغطرسة الإسرائيلية، من المسؤول؟

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

من حق نتنياهو ووزراء خليته الأمنية أن يضحكوا في عبّهم، وأن يشكروا المرشد الإيراني علي خامنئي، ورهط مستشاريه المعممين وقادته العسكريين، لأنهم منحوا إسرائيل، وضعَ الدولة الأقوى في المنطقة التي يحق لها وحدها أن تصول وتجول، وتضرب يمينا ويسارا، ولا أحد يتجرأ فيسقط واحدة من طائراتها، أو يقتل واحدا من جواسيسها، من باب رد الاعتبار، ومن أجل التظاهر ببياض الوجه، أمام شعبه وشعوب المنطقة والعالم.

فمنذ سنوات وإسرائيل تحرق وتدمر أوكار النظام الإيراني في سوريا ولبنان، وفي الخليج العربي، وفي داخل إيران نفسها.

ولكن أمَّ العواصف الإسرائيلية كانت هي التي تمكن فيها الموساد الإسرائيلي من أن يصطاد العالم النووي الإيراني محسن فخري زاده القيادي البارز في الحرس الثوري، والعقل المصمم والمشغل لبرنامج النظام الإيراني النووي، في عز الظهر، ولا من شاف ولا من درى.

أما الصاعقة الأكبر من كل صواعق اليهود التي مرغت أنف النظام الإيراني بالتراب فهي التي حدثت في الأسبوع الماضي. فقد تمكن الموساد من اقتحام أخطر مواقع النظام وأكثرها حصانة، وزرع عبوة ناسفة في مجمع الطاقة الخاص بموقع نطنز النووي.

وحين سئل نتنياهو عن مسؤولية حكومته عن ذلك التفجير اكتفى بتجديد تعهداته السابقة بعدم السماح لإيران بحيازة سلاح نووي.

ولكن وزير خارجية الولي الفقيه جواد ظريف أعلن أن إيران لن تقع في "الفخ الإسرائيلي" الهادف إلى إفشال مباحثات فيينا حول الاتفاق النووي، و"لكننا سننتقم من الصهاينة".

وصدق الوعد وتحقق ما أراده ظريف. فبعد كل ما فعلته الصواريخ الإسرائيلية بنا، نحن سكان المستعمرات الإيرانية، وبإيران ذاتها، تجرأ صاروخ إيراني فأصاب إسرائيل في مقتل!

فقد أفادت وكالة رويترز للأنباء بأن هجوما (إيرانيا) وقع على سفينة "هايبريون راي" التجارية المملوكة لشركة إسرائيلية في بحر العرب، والمخصصة لحمل السيارات. وقالت إسرائيل إن السفينة "واصلت رحلتها رغم استهدافها بصاروخ".

آلا ترون؟ فمنذ أول يوم هبط فيه الخميني على أرض مطار طهران 1979 وإلى اليوم ونظام ورثته المعممين يروج لفكرة تصدير الثورة، مؤكدا أن العبور من العراق إلى سوريا ولبنان ليس له سوى هدف واحد، هو تحرير الأرض العربية الفلسطينية، وإقامة دولة العدل الإلهي الرشيدة، بعد ذلك.

وتحت هذه اللافتة أصبح كل غزو يقوم به حرسُه الثوري لدولة عربية، مباشرة أو بواسطة ذراع من أذرعه العراقية واللبنانية والفلسطينية والسورية واليمنية التي أنشأها وموّلها وسلحها، إنما هو خطوة على الصراط المستقيم الموصِل، في النهاية، إلى القدس، وإلى فلسطين المحررة، كاملة دون نقصان، بعد محو إسرائيل من الوجود.

ثم تحقق له ما أراد، وتمكن، أخيرا، من غسل قدميه بمياه البحرين، الأبيض والأحمر، وأصبح مكتبُ نتنياهو ومبنى موساده ومُفاعل ديمونا على أمتار، وفي مرمى صواريخه التي باركها الله ورسوله والإمام الغائب، وسط تهليل أولاده المجاهدين وأنصاره الفلسطينيين واللبنانيين والعراقيين والسوريين واليمنيين.

بالمقابل، وعلى طول السنين المتلاحقة، كانت الصعقات الإسرائيلية تتكاثر ، فتنسف وتدمر معسكراته، وتقتل مجاهديه كل شهر، وأحيانا، كل يوم، في سوريا ولبنان والعراق وإيران ذاتها، ولا يرد.

والأغرب من الغرابة أن الشعب العربي الذي كانت ملايينه تهب غاضبة داعية إلى الجهاد عندما يتجرأ شرطي يهودي فيقتل بقرة أو يقلع شجرة صار لا يغضب عند كل غارة إسرائيلية مجلجلة جديدة، بل يصمت، وبعضه يفرح شماتة.

دون جدال، إن النظام الإيراني مسؤول كليا عن هذا التحول المحزن في المزاج الشعبي العربي.

فبعد الإيمان المبدئي الثابت بأن إسرائيل هي العدو رقم واحد أصبحت هي الدولة القائمة التي يحق لها العيش بسلام، ويمكن التفاهم معها، لا من قبل الحكومات العربية وحدها، بل من الشعوب.

والأكثر إيلاما وحزنا هو أن المغتصبة القاتلة أصبحت اليوم، بفعل سياسات المعممين وأحلامهم الطائفية العنصرية، مُطيبةَ خواطر ضحايا ظلم الشقيق الإيراني المسلم، المقتولين، والمحروقين أحياء، والمخطوفين، والمغيبين، والمطرودين من بيوتهم ومزارعهم، والآخذة بثأرهم النائم منذ سنين.

بصراحة، لقد أسقط المعممون الإيرانيون من يد الشعب الفلسطيني ورقة اللاءات الثلاث، "لا للصلح، لا للتفاوض، لا للاعتراف بإسرائيل"، ووضَعوا في يده مكانَها "نعم للصلح، نعم للتفاوض، نَعم للاعتراف"، وأفقدوه القدس، ربما بلا عودة، وأجبروا أهم أشقائه الذين كانوا فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين على الاحتماء من الشر (الأخوي) الإسلامي الأكبر إلى الشر (الأخوي) اليهودي الأصغر.

ولو تجاوزنا جميع الكوارث التي ألحقها المعممون الإيرانيون بحكومات الدول العربية وشعوبها فإن أكبر وأخطر وأسوأ ما فعلوه هو أنهم حولوا الصراع من عربي – إسرائيلي إلى فلسطيني – إسرائيلي، محض، ولحماس (الإيرانية – القطرية) وفتح (الأميركية – السعودية – المصرية – الأردنية) جميع حقوق البيع والشراء والسمسرة. وكان الله في عون فلسطين وفي عون شعبها المعذب الأصيل.

إيران المقيدة هي إيران المفيدة

فاروق يوسف
كاتب عراقي

بعكس ما يشيعه المتعاطفون الغربيون مع إيران من أن الهجمات (الإسرائيلية) على المنشآت النووية الإيرانية ستكون مصدر تعقيد للمفاوضات الجارية في فيينا، يمكن القول إن إفراغ السلة الإيرانية من وسائل الضغط والابتزاز سيخدم تلك المفاوضات وسيسرع من وتائرها وسيدفع إيران إلى أن تكون واقعية أكثر وقريبة من اللغة التي يتحدث بها العالم، كونها اللغة التي يحرص أصحابها على إعادة دولة الملالي إلى المنطقة باعتبارها دولة يمكن التعايش معها لا الوحش الذي يخشى الجميع شروره.

تحتاج إيران إلى مَن يوقظها من أوهامها القائمة على أساس خرافي.

العدوان الإيراني المستمر على المصالح العربية لا مبرر له سوى تلك النظرة الاستعلائية المغرورة التي آن لها أن تُكسر وتنتهي لتعود إيران إلى أداء دورها الإيجابي في المنطقة بعيدا عن الحقد الطائفي والتحجر القومي المعبرين عن طريقة ضيقة وجاهلة وغبية في قراءة التاريخ.

ولأن العقائدية الإيرانية قد ذهبت بعيدا في عدوانيتها فلا مجال للجمها واحتوائها إلا عن طريق القوة. فإذا كان الإيرانيون قد صاروا يلهثون في مسعاهم لامتلاك سلاح نووي فليس أمام العالم وقد استهلك كل وسائل الحوار السلمي معها سوى أن يوقف ذلك اللهاث حفاظا على ما تبقى منها ولم تهرسه أنياب الحرس الثوري الملوثة بدم الشعب الإيراني.

وقد لا ينفع في شيء أن تظهر إيران كما لو أنها الدولة المعتدى إليها.

إذا كان الإيرانيون يلهثون في مسعاهم لامتلاك سلاح نووي فليس أمام العالم سوى أن يوقف ذلك اللهاث حفاظا على ما تبقى منها ولم تهرسه أنياب الحرس الثوري الملوثة بدم الشعب الإيراني

فالمنشآت النووية الإيرانية التي لم تعلن جهة مسؤولية القيام بضربها ليست منشآت مدنية ولا مواقع عسكرية دفاعية. إنها مختبرات لإنتاج أكثر الأسلحة فتكا.

وإذ ترى إيران أن من حقها الانتساب إلى النادي النووي فإنها في الوقت نفسه لا ترى أن من حق جيرانها أن يعيشوا بأمن واستقرار وسلام.

في سياق تلك المعادلة الغريبة فإن حصول إيران على السلاح النووي لا بد أن يعني بالضرورة وضع كل الدول المحيطة بإيران وبالأخص الدول العربية تحت تهديد الضرب بالسلاح النووي.

إيران دولة لا يمكن أن يثق بها أحد.

لقد نشرت صواريخها البالستية في كل الأماكن التي وصلت إليها من خلال أتباعها. ومن هناك صارت تخطط لإدارة حروبها المستقبلية التي ستكون حروبا بالوكالة تدفع ثمنها الشعوب في العراق وسوريا ولبنان واليمن. وما يفعله الحوثيون حين يقومون بقصف المنشآت المدنية السعودية بين حين وآخر بصواريخ إيران البالستية لم يكن سوى تمهيد لما يمكن أن تشهده المنطقة إذا ما استمر العالم في تعامله السلبي مع الخطر الإيراني.

إن لم تفقد إيران الأمل في الحصول على السلاح النووي وتقيد قدرتها على إنتاج الصواريخ البالستية ونشرها وتجبر على تغيير سياساتها في المنطقة وقطع صلتها بالتنظيمات والجماعات الإرهابية فإن شعوبا كثيرة ستواجه مصيرا أسود بسبب مشروعها التخريبي القائم على التوسع.

قد يُقال إنّ ضرب منشآت داخل العمق الإيراني يشكل عدوانا على دولة لها سيادتها. وفي ذلك القول قدر لافت من تزييف الحقيقة. فإيران وفق المعطيات التي سبق ذكرها لا تخطط لاستعمال ما تنتجه منشآتها تلك في الدفاع عن سيادتها الوطنية ضمن حدودها المعترف بها. وهو ما يعني أن عمل تلك المنشآت لا يشكل شأنا إيرانيا داخليا.

أن يمد العالم من خلال طرف ما يده إلى خرائط الطريق التي وضعتها إيران على طاولة المرشد الأعلى فإن ذلك لا يشكل عدوانا. وإذا ما أردنا اللجوء إلى القياس فإن على العالم أن يتعامل مع إيران مثلما يتعامل الحرس الثوري مع الدول المحيطة.

يستبيح الحرس الثوري الإيراني أربع دول عربية على الأقل. وهو يخطط أن يستولي على مياه دولية شاسعة لكي يمارس فيها أعمال القرصنة. ذلك يمكن أن يشكل أساسا لتعامل المجتمع الدولي مع إيران بالمثل.

لذلك فإن إيران لا تستطيع الدفاع عن نفسها بالوسائل السلمية من نوع اللجوء إلى مجلس الأمن فهي مدانة قبل أن تُضرب ولا يُشكل ضربها نوعا من العدوان عليها.

أما لو فكرت إيران بخيار الرد العسكري وهو خيار مستبعد فإنها لن تجد مَن يقف معها حين تحارب وتُهزم. ذلك لأنه لا يوجد طرف في العالم يمكنه أن يعتبر لجوءها إلى الخيار العسكري دفاعا عن النفس.

ثم ليس من مصلحة أحد أن يقف مع إيران، الدولة التي ظلمت شعبها حين حرمته من التنمية التي ذهبت أموالها إلى التسلح.

من الأفضل بالنسبة إلى العالم أن تذهب إيران إلى أي مفاوضات صفر اليدين من أجل أن يكون المستقبل أكثر سلاما.

إسرائيل وإيران في المناوشات البحرية والسبرانية

عدلي صادق
كاتب وسياسي
فلسطيني

بعد أن مرت فترة طويلة من التكتم على وقائع الحرب الإسرائيلية ـ الإيرانية في البحار؛ بدأت برقيات الأنباء في تغطية هذه الوقائع، دون المجاهرة رسميا، من قبل الطرفين، الإيراني والإسرائيلي، بقصص خبرية مكتملة الأركان. وفي هذا السياق، لم تكن الجوانب القانونية المتعلقة بالملاحة التجارية الدولية هي السبب الأهم لتكتم إسرائيل وإيران على الكثير من وقائع ضرب السفن. فكلتاهما، عندما تضرب، تتعمد التسريب بأن الهدف الذي تعرض للهجوم يتبع "الحرس الثوري الإيراني" أو "الموساد الإسرائيلي"، ويحدث ذلك حتى عندما تكون السفينة المصابة مخصصة لنقل السيارات أو غيرها من السلع المدنية، ومسجلة في بلد آخر وترفع رايته!

وفي الحقيقة، يتسم النزال في البحر بسمة المناوشة الهادفة إلى تظهير حال النزاع وكأنه قد أوشك على الانفجار، دون أن يكون الأمر كذلك بالضرورة.

فبالنسبة إلى إيران، كانت طهران حريصة على إظهار نفسها بأنها قد ردت و"انتقمت" بعد الهجوم الذي وقع في منشأة "نطنز". لذا وقع الهجوم على السفينة "هايبرون" التي تملكها إسرائيل وترفع علم جزر الباهاما، وهي على مقربة من ساحل إمارة الفجيرة في دولة الإمارات. وسرعان ما تبين أن السفينة هي ناقلة سيارات. وقال الإسرائيليون إن الهجوم نُفذ، على الأرجح، بصاروخ من الجانب الإيراني أو بطائرة مسيرة، ولم يؤد إلى وقوع أضرار جسيمة. بل إن شركة "راي" الإسرائيلية للنقل البحري أصدرت بيانا قالت فيه إن سفينتها "لم تتكبد أي أضرار"!

أما على المستوى العسكري الإسرائيلي، لم يصدر أي تصريح، وقد أدلى "مسؤول أمني" لصحيفة "نيويورك تايمز" بتصريح قال فيه إن إسرائيل لم تكن تنوي الرد بهجوم آخر على سفينة إيرانية، لأن إسرائيل، حسب قوله، تريد تخفيف التوترات في منطقة الخليج.

على الرغم من ذلك كان الهجوم على منشأة "نطنز" هو الذي استحث الهجوم الإيراني على السفينة الإسرائيلية، لاسيما وأن سفينة إيرانية أخرى تُدعى "سافيز" تعرضت قبل نحو أسبوع من حادث "نطنز" لهجوم إسرائيلي في البحر الأحمر وتضررت.

في المحصلة، هناك ضربات تعرضت لها سفن مملوكة لإسرائيل في المنطقة، وأخرى مملوكة لإيران، هاجمتها إسرائيل مع مواقع أرضية، تمتد من البحر المتوسط إلى الخليج العربي. وتواظب إسرائيل على إخطار الولايات المتحدة بمسؤوليتها عن الضربات ذات الحساسية العسكرية، مثلما فعلت في الأسبوع الماضي، عندما أخطرت "البنتاغون" بمسؤوليتها عن الهجوم. وفي غضون هذه المناوشات، يحرص كل طرف على إنكار الفوارق بين ممتلكاته العسكرية والمادية. وبالطبع تساعد الولايات المتحدة إسرائيل في الادعاء بأن الهدف البحري الإيراني عسكري، وإن كان مسجلا كسفينة مدنية. ومن أمثلة ذلك ما أعلنه "المعهد البحري الأميركي" في العام الماضي بأن "السفينة الإيرانية سافيز، وعلى الرغم من إدراجها كسفينة تجارية، فهي على الأرجح قاعدة أمامية سرية للحرس الثوري الإيراني، وأن هذه السفينة كانت تتمركز في البحر الأحمر في السنوات الأخيرة لدعم القوات الخاصة الإيرانية المرافقة للسفن التجارية"!

غير أن استخلاصات السياسة، في كل ما يجري في البحر، تتجه إلى ترجيح مقاصد محددة عند إسرائيل وأخرى عند إيران. فعلى الجانب الإسرائيلي، تريد الحكومة الشوشرة على أي توجهات تفاوضية لإدارة الرئيس الأميركي جو بايدن مع إيران، وتريد كذلك التأكيد على جاهزيتها العسكرية على الرغم من الانسداد البات حتى الآن على مستوى السياسة الداخلية وقدرة الأحزاب والقوى على التوافق على تشكيل حكومة مستقرة. أما إيران، فهي معنية بإظهار قدرتها على الرد، لتخليق انطباع لدى أصدقائها بأنها تمتلك الحد الأدنى من الموازنة بين فيض الخطاب التعبوي والعمل الحقيقي في ميادين المواجهة.

ويلجأ النظام الإيراني في بعض الأحيان إلى اختراع قصص عن عمليات ثأرية ناجحة، وصلت إلى حد نسج حكايات بلا مفردات، عن ضرب "مركز" لجهاز "الموساد الإسرائيلي" في شمالي العراق، ذلك علما بأن هناك العديد من الوسائل، منها ما تسمح به العلاقة بين طهران وبغداد، لاقتلاع هكذا مركز، لو كان معلوما وقائما، دون انتظار هجوم إسرائيلي على منشأة تخصيب اليورانيوم "نطنز". بل إن المفارقة ترتسم عندما يظن المعلنون عن تصفية مركز لجهاز "الموساد" في شمالي العراق أن مثل هذا الإعلان دليل قوة أو فاعلية في العمل، بينما مجرد وجود مثل هذا المركز أصلا، على مقربة من حدود إيران، وفي بلد تمتلك فيه إيران ميليشيات مسلحة، يعد دليل فشل وخيبة.

بعد هجوم "نطنز" قالت إيران إنها تريد الانتقام وتخصيب اليورانيوم حتى 60 في المئة. بعد ذلك، نشرت وسائلها الإعلامية نبأ الهجوم على سفينة إسرائيلية قبالة ساحل الفجيرة، لكن إسرائيل نفسها قللت من أهمية الهجوم واختزلت التفاصيل في عبارة "طفيفة"!

ربما يكون الإيرانيون قادرين على تصعيد حقيقي في منطقة الخليج، لكن مصالحهم فيه لا تزال أكبر بكثير من أسباب المقامرة بها وبتضييع السياق المنظور لإدارة الرئيس بايدن، للعودة إلى مفاوضات الملف النووي. فالتوترات مع إسرائيل تفاقمت في البحر، واتخذت شكل العمليات السرية والاعتراضية، وهذه عمليات تمتلك إسرائيل خبرة طويلة فيها مع امتلاكها عناصر مساعدة وتقنيات وهوامش اتفاقات أمنية.

ويصح القول إن التصدي الإيراني بفاعلية للهجمات على ميليشياتها ومراكزها في سوريا أكرم لها وأفضل تعليلا لخطاب عنفوانها. ففي الحرب السرية وحرب البحار، وجدت طهران نفسها في موقع الدفاع ومحاولة حماية علمائها ومنشآتها، وخسرت العالم النووي الكبير محسن فخري زاده في عملية عمق استخبارية، سيكون من الحماقة الرد عليها بضرب سفينة تنقل سيارات أو عجولا. فالرد إن لم يكن بمستوى الإنشاء في تدبيج الخطابات، فالأكرم هو تبديل لغة الخطاب كلها، والتهيؤ للدفاع عن النفس في سوريا وهذا أشرف وأنبل من قهر السوريين، والدفاع أيضا عن النفس في المنشآت النووية، مع شيء من التواضع الخطابي!